

DOI: 10.54240/2318-012-001-007

التعايش والتسامح المذهبي والديني والعنقي في دولة الرستميين.
Coexistence and sectarian, religious and ethnic tolerance in
Rustamid state

اسم ولقب المؤلف المرسل: بومدين هشام نمر- Boumadiene H. Nemer صص 120-143
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ محاضر ب، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة
وهران1- الجزائر/البريد الإلكتروني: hichem19892009@hotmail.fr

تاريخ استقبـال المـقال: 2021/12/01 تاريخ المراجعة: 2022/01/05 تاريخ القبول: 2022/03/02

الملخص: سأعالج في هذا المقال مسألة التعايش والتسامح المذهبي والديني والعنقي في دولة الرستميين، حيث تضمن ستة عناصر، إذ سأطرق في أولها إلى التعريف بالتسامح والتعايش، اللذين يتلخصان في مسألة الآخر وتقبله؛ وبعد ذلك أنتقل للحديث عن المذهب الإباضي، وكيفية دخوله إلى المغرب الإسلامي، الذي كان اعتناقه كرد فعل على سياسة بعض الولاة الأمويين تجاه البربر، ثم أعرج على قيام دولة الرستميين، والظروف التي ساعدت على قيامها؛ بعدها سأتناول عوامل التنوع العنقي والمذهبي والديني بالدولة الرستمية، والتي تتمثل في: أولاً: طبيعة النظام السياسي والمذهب العقدي للدولة الذي أتاح التعددية، القائم على سياسة العدل والتسامح التي أقرها جل أئمتهم، ثانياً: التجارة التي ساهمت في دخول عناصر جديدة إلى الدولة الرستمية، لا سيما تاهرت عاصمة الدولة، تلا ذلك عنصر تحدثت فيه عن بعض المظاهر التي عكست هذا التعايش والتسامح المذهبي والديني والعنقي في هذه الدولة، حيث تجلت هذه المظاهر فيما يلي: المناظرات الدينية والعلمية، التي كانت تتم في جو من التفاهم والحوار الهادئ، من أشهرها المناظرة بين الإباضية والمعتزلة، وكذلك في الحرية الدينية والمذهبية والفكرية، وإيواء اللاجئين السياسيين من مذاهب مخالفة، والمساواة بين الإباضية من كافة الأعراق لتولي منصب الإمامة؛ كما قمت في آخر عنصر بالتعريف ببعض الأعلام غير الإباضيين الذين عاشوا في الدولة الرستمية.

الكلمات المفتاحية: التعايش؛ التسامح؛ الدولة الرستمية؛ تاهرت؛ الإباضية؛ المالكية؛ المعتزلة؛ المسلمون؛ النصاري؛ اليهود؛ البربر؛ العرب؛ الفرس.

Abstract: *In this article, we will deal with the issue of coexistence and sectarian, religious and ethnic tolerance in the state of the Rustamids; It contains six elements; In the first place, we will discuss the definition of tolerance and coexistence, which are summarized in the peace and acceptance of the other; And then we move on to talking about his entry into the Islamic Maghreb, whose embrace was as a reaction to the policy of the Umayyad rulers towards the Berbers; Then we will discuss the establishment of the Rustamid state, and the circumstances that helped establish it; Then we will address the factors of ethnic, sectarian and religious diversity in the Rustumiya state; This was followed by an element in which we talked about some aspects that reflected this sectarian, religious and ethnic coexistence and tolerance in this country; In the last element, we introduced some non-Ibadi figures who lived in the Rustumiya state.*

Keywords: coexistence; tolerance; Rustamid state; Tahert; Ibādīsm; Al-Malikiyah; Mu'tazila; Arabs; Berbers; Persians; Muslims; Christians; the Jews.

المقدمة: التعايش والتسامح من المصطلحات المتداولة اليوم على نطاق واسع؛ نظرا لما يمثلانه من أسس للاستقرار والازدهار، وارتباطهما ارتباطا وثيقا بحقوق الإنسان؛ وعلى رأس هذه الحقوق: حرية المعتقد وتقبل الآخر؛ غير أن هناك من يعتبرهما وليدي الحقبة المعاصرة، إلا أن الحقيقة غير ذلك، حيث نجد لهما حضورا قويا في التاريخ الإسلامي ابتداء بوثيقة المدينة للرسول (ﷺ)، فمن بين النماذج التاريخية الإسلامية في هذا السياق: الدولة الرستمية.

شهدت بلاد المغرب الإسلامي تأسيس عدة دول مستقلة بخلفيات مذهبية مختلفة؛ من بينها: الدولة الرستمية التي قامت ببلاد المغرب الأوسط على يد عبد الرحمان بن رستم المتبعة للمذهب الإباضي؛ وقد شاع تاريخيا أن هذه الدولة كانت تلقب بعراق المغرب، لاستقطابها مختلف أتباع المذاهب الإسلامية وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى، فقصدها الناس من العراق والشام ومصر والأندلس، وبقية بلاد المغرب؛ حيث أن أسس ومبادئ المذهب الإباضي وسياسة حكامها العادلة من الأئمة الرستميين قد أتاحت مبدء التعددية وقيم التعايش، وساهما في إنجاحها، فكانت دولة ديمقراطية بالمفهوم الحالي.

من هنا جاء موضوع مقالي على النحو التالي: "التعايش والتسامح المذهبي والديني والعربي في دولة الرستميين"، الذي تكمن أهميته في كونه يتناول عدة جوانب هامة من تاريخ الجزائر خاصة، وبلاد المغرب عامة خلال الفترة الإسلامية؛ ألا وهي الجانب المذهبي والديني والسياسي والاجتماعي، الذي أسعى من خلاله إلى إبراز ظاهرة التعايش والتسامح على المستوى المذهبي والديني والعربي بين مختلف مكونات المجتمع الرستمي، في ظل حكم إياضي عادل؛ إضافة إلى إبراز قيم التعايش والتسامح والحوار التي سادت في أحد المجتمعات الإسلامية يوم كانت المجتمعات الغربية لا تعرف لهاتين الكلمتين أي معنى، على الرغم من أن جميع الرسائل السماوية دعت إلى هذه القيم والتعامل بها مع الغير.

انطلاقاً من هنا أطرح الإشكالية العامة لهذا البحث: كيف تعايشت تلك الفسيفساء المذهبية والدينية والعرقية في الدولة الرستمية الإياضية، وتسامحت فيما بينها؟ لتتصوّر تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات، وهي: كيف شق المذهب الإياضي طريقه إلى بلاد المغرب الإسلامي؟ وما هي ظروف قيام الدولة الرستمية؟ وما هي عوامل هذا التنوع العرقي والمذهبي والديني؟ وفيما تمثلت أبرز مظاهر هذا التعايش والتسامح بين هذه الفئات المختلفة والمتباينة؟، ومادام أن هذه الدولة كانت نموذجاً للتعايش والتسامح فهل برز فيها أعلام ومشاهير غير إياضيين؟

للإجابة على هذه الإشكالية سأعرض للعناصر التالية: أولاً مدخل، وتطرقت فيه إلى مفهومي التعايش والتسامح؛ وفي العنصر الثاني تناولت دخول المذهب الإياضي إلى بلاد المغرب الإسلامي؛ أما العنصر الثالث فتناولت قيام الدولة الرستمية وظروف تأسيسها؛ وأما العنصر الرابع فتطرقت فيه إلى عوامل التنوع العرقي والمذهبي والديني بالدولة الرستمية؛ بالنسبة للعنصر الخامس فهو حول مظاهر من التعايش والتسامح المذهبي والديني والعربي في الدولة الرستمية؛ بينما خصصت العنصر السادس والأخير للتعريف ببعض الأعلام غير الإياضيين الذين عاشوا في دولة الرستميين.

1- مدخل: مفهوما التعايش والتسامح: إذا ما ذكر مصطلح التعايش يُتبع في غالب الأحيان بمصطلح التسامح أو العكس، فهما إذا من المصطلحات المترادفة التي ترافق بعضها، ومن المصطلحات القريبة جداً من بعضها؛ ولو أن هناك اختلافاً طفيفاً بينهما في المعنى، ولكنهما في

النهاية من المصطلحات ذات الدلالة الإيجابية. التي تجتمع فيهما الحرية والمساواة والكرامة، وقبول الآخر؛ وهما عكس التعصب والتطرف والصراع والاضطهاد، فما المقصود بكل من التعايش والتسامح؟

1.1- التعايش: جاء في المعجم الوسيط على أن التعايش من العيش، فعله عاش، فيقال عاش عيشاً وعيشةً، ومعاشاً: أي صار ذا حياة، فهو عائشٌ؛ ويقال عايشه: عاش معه؛ وتعايشوا: أي عاشوا على الألفة والمودة، ومنه التعايش السلمي¹.

أما اصطلاحاً فهو يحمل عدة مضامين اجتماعية وسياسية واقتصادية ودينية تهدف جميعها لإيجاد بيئة أخلاقية لإسعاد المجتمع الإنساني؛ ويقابله في اللغة الفرنسية مصطلح «Coexistence» الذي شاع خلال الحقبة المعاصرة، وراج مع ظهور الصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية اللتين قسمتا العالم إلى معسكرين متصارعين إلى غاية انهيار الاتحاد السوفييتي وأواخر الثمانينات وأوائل التسعينات².

والمفهوم الأقرب إلى موضوعنا هو المفهوم ذو المضمون الديني الثقافي الحضاري، الذي يشمل تحديداً معنى التعايش الديني أو التعايش الحضاري؛ والمراد به أن تلتقي إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام في العالم؛ وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعاون على ما فيه الخير الذي يعم البشر جميعاً من دون استثناء³.

2.1- التسامح: التَّسَامُحُ في اللغة من السَّامَحةٍ: بمعنى تساهل؛ وَسَمَحَ: من سَمَحَ: أي سار سيراً سهلاً، أو جعل الشيء لنا سهلاً؛ وَسَمَحَ سَمَاحَةً وَسُمُوحَةً: صار من أهل السَّامَحةِ، فهو سَمُوحٌ وَسَمِيحٌ؛ والسَّامَحةُ من الجود والكرم والسهولة؛ والسَّمُوحَةُ مؤنث السَّمَحِ؛ يقال شريعة سَمُوحَةٌ: أي فيها يسر وسهولة⁴.

يقابل مصطلح التسامح في اللغة الإنجليزية كلمة «Toleration»، المشتقة بدورها من الجذر اللاتيني «Tolerare»، الذي يعني التحمل؛ أي التحمل والمعاناة، أو التعايش مع شيء غير محبوب في الحقيقة، أو غير مرغوب فيه؛ وقد ارتبط هذا المصطلح في العصر الحديث بالمسألة الدينية عند بداياتها لدى الفيلسوف جون لوك «John Locke» الذي كان يعتبرها (الحل العقلاني) الوحيد حسب لغته لمشكلة الخلافات الدينية التي نشأت داخل المسيحية،

التي هي الدين الرئيس في الثقافة الغربية والسائد في مجتمعاتها؛ لكن هذا المفهوم اتسع ليشمل مجالات أخرى، فأصبح يستخدم في المجال السياسي والعرقى والقومى والاجتماعى، وحتى الجنسى⁵.

عرّف فولتير «Voltaire» وغيره من فلاسفة عصر الأنوار التسامح بأنه: "ما يتصف به المرء من ظرف وأنس وأدب تمكنه من معايشة الناس رغم اختلاف آرائهم عن آرائه"⁶؛ يلاحظ هنا أن هذا المفكر وظف كلمة "معايشة" وهي من التعايش، وهذا ما يدفعنا إلى القول بأنهما مكملان لبعضهما، حيث يشكل كل منهما جزءا من الآخر.

كما يطرح مفهوما آخر للتسامح، وهو مفهوم تفسيري يحاول من خلاله أن يشرح لنا أكثر، قائلا: "فليس تسامحنا في ترك الناس، وما عليه من عاداتهم واعتقاداتهم وآرائهم منّة نجود بها عليهم، وإنما واجب أخلاقي ناشئ عن احترام الشخصية الإنسانية"⁷.

2- دخول المذهب الإباضي إلى بلاد المغرب الإسلامي: قبل الخوض في مسألة دخول المذهب الإباضي إلى بلاد المغرب لابد من إعطاء صورة عنه، فذكر أهم مبادئه، حيث سنعرف به، ثم الحديث عن كيفية وأسباب انتقاله إلى بلاد المغرب، فالتمكين له بالمغرب الأوسط.

1.2- لمحة حول المذهب الإباضي: الإباضية هم أتباع عبد الله بن إباح⁸، وهم أكثر الخوارج اعتدالا وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيراً، وهم أقل الفرق غلوا⁹، لذلك بقوا وبقي مذهبهم وتراثهم العقائدي، ولهم فقه جيد وعلماء ممتازون؛ وأهم مراكزهم: ميزاب بغرداية بالصحراء الجزائرية، جربة بتونس، زنجبار، سلطنة عمان؛ ولهم آراء فقهية طيبة اقتبست منها القوانين المصرية المدنية مما يخص الميراث بالولاء¹⁰. كل هذا مما يعلل استمرارية هذا المذهب وبقائه في مناطق مختلفة من العالم العربي؛ كما يعكس هذا البقاء والاستمرارية ذلك التعايش والتسامح، الذي يمكن أن تتضح معالمه في سياسة دولته لرعاياها بالعدل والمساواة؛ وبعيدا تماما عن الاعتقادات، بحيث تمكن من جعل متبعيه ومعتنقيه يتعايشون ويتسامحون مع شركائهم في المجتمع.

لقد اختلف في نطق كلمة "الإباضية"، كما اختلف في نطق الأصل وهو "إباح" أم "أباح"، بفتح الهمزة أم كسرهما؟ والراجع أن كلي النطقين صحيحان: حيث يغلب على المشاركة نطقها بالفتح، كما عند العُمانيين (أهل سلطنة عُمان) على حسب رواية السمائي،

أما عند المغاربة فهي بالكسر¹¹، وإن أغلب المصادر والمراجع المذهبية وكتب الملل والنحل غير الاباضية أكانت أشعرية¹² أو معتزلية¹³ أم سنية تتفق جميعها على تسمية هذه الفرقة بالإباضية، مع اعتبارها إحدى فرق الخوارج، وبأن مؤسسها هو عبد الله بن إباح¹⁴.

غير أن العديد من المصادر و المؤلفات الإباضية ترجع تأسيس المذهب إلى جابر بن زيد¹⁵، الذي عده الدرجيني من الطبقة الثانية (50-100هـ/670-719م)، وهو من أبرز علماء النصف الثاني من القرن الهجري الأول (6 وأوائل 7م)؛ وإن كان جابر قد التقى بعدد كبير من أصحاب الرسول (ﷺ) وأخذ عنهم؛ نقلت كتب السير عن جابر أنه قال: "أدركت سبعين رجلا من بدر، فحوينا ما عندهم من العلم إلا البحر الزاخر"، ويقصد به ابن عباس الذي يقول عنه: "اسألوا جابر بن زيد فلو سأله من بالمشرق والمغرب لوسعهم علمه": فجابر بن زيد هو مؤسس المدرسة الإباضية التي سيتخرج منها: عبد الله بن إباح، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي¹⁶؛ أما مجمل آرائهم المذهبية فتتلخص فيما يلي:

- أن مخالفهم من المسلمين ليسوا مشركين، وهم كفار نعمة لا كفار اعتقاد لتقصيرهم في أداء الواجبات الدينية.

- دماء مخالفهم حرام، ودارهم دار توحيد وإسلام، إلا معسكر السلطان.

- لا يحل من غنائم المسلمين المحاربين إلا الخيل والسلاح، وكل ما يرجع إلى معدات الحرب؛ وأما الذهب والفضة فلا يجوز اغتنامها.

- تجوز مناكحة المخالفين والتوارث معهم¹⁷.

2.2- المذهب الإباضي في بلاد المغرب الإسلامي: عرفت بلاد المغرب الإسلامي تسرب الأفكار المذهبية الخارجية من المشرق، وعلى رأسها المذهبين الصفري والإباضي؛ إذ كان ذلك نتيجة السياسة السيئة لبعض ولاة بني أمية تجاه البربر وسوء التسيير، فقد كانوا لا يميزون بين الأراضي المفتوحة حربا أو صلحا؛ مما دفع بعضهم إلى تخميس البربر: كيزيد بن أبي مسلم الثقفي، الذي اعتبرهم فيئا للمسلمين، و قام بجعل حرسه منهم، وعزم على أن يشم على كل يد واحد منهم كلمة "حرس" تميزا لهم عن غيرهم؛ وفرض ضرائب باهضة على السكان بسبب تردي الوضعية الاقتصادية؛ إضافة إلى الظلم الذي وقع عليهم في توزيع الغنائم وهم أصحابها؛ كما عمد رجال هذا الأمير إلى ماشيتهم فبقروا بطن ألف شاة طلبا لفرائها الأبيض للخليفة؛

فضلا عن السبي: فكانت الجميلات من بنات البربر تسبى وتبعث إلى بعض من رجال الدولة في دمشق، ومنهم الخليفة؛ زد على ذلك ما قام به الوالي عبيد الله بن الحبحاب من انصرافه عن جمع الصدقات وفرض بدلها الجزية؛ فوجد البربر أن مبادئ المذهب الخارجي هي المخرج الوحيد لمشكلتهم، خاصة بعد عودة الوفد البربري الذي أرسل إلى دمشق لمقابلة الخليفة ومنعه من الدخول عليه، فاعتنقوا الأفكار الخارجية التي تسوي بينهم وبين العرب، حيث كانت تتوافق وتتلاءم مع طبائعهم و أهوائهم التحررية والاستقلالية، فكان أن اعتنقوا المذهبين الصفري والإباضي، وقاموا بعدة ثورات ضد الحكم الأموي¹⁸.

أما عن دخول المذهب الإباضي إلى بلاد المغرب الأوسط، فيرى علي يحيى معمر أنه كان أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني الهجريين (8م) على يد تلاميذ الإمام جابر بن زيد، وأبرزهم سلمة بن سعد¹⁹، الوافد إلى بلاد المغرب الإسلامي، ومرافقا له في رحلته تلك من المشرق إلى المغرب داعية المذهب الخارجي الصفري عكرمة مولى ابن عباس²⁰، استطاع سلمة بن سعد بعد عودته من المشرق أن يكون بعثة علمية مغربية²¹ فتحمل العلم الذي أخذته هناك، وتسير به داعية له بالمغرب، بينما يرى الشيخ العطاوي أنه دخل إلى المغرب الأوسط على يد الفاتحين الأولين²².

غير أن الرأي الثاني مستبعد في نظري؛ لأن الفاتحين الذين دخلوا بلاد المغرب كانوا معينين ومبعوثين من طرف خلفاء بني أمية الذين كانوا في حرب دائمة مع الخوارج في المشرق، لذا فمن غير المعقول أن يكون قادة فتح بلاد المغرب على المذهب الخارجي، لأن تكليفهم بهذه المهام وهم كذلك من شأنه أن يهدد مصالح الأمويين وتواجههم في المنطقة؛ كما أن الخلفاء لا يجرؤون على القيام بهذه الخطوة خوفا من تحالف هؤلاء القادة مع البربر المعتنقين لهذا المذهب، واستقلالهم بالمنطقة عن الخلافة مؤسسين دولة للخوارج.

هكذا أفضى انتشار المذهب الخارجي في بلاد المغرب إلى تأسيس كيانات سياسية منها: الدولة الرستمية الإباضية بتاهرت²³ ببلاد المغرب الأوسط، ودولة بني مدرار الصفريية بسجلماسة في المغرب الأقصى.

3- قيام الدولة الرستمية وظروف تأسيسها: سعى الخوارج الذين وجدوا على أرض المغرب إلى إقامة كيانات سياسية تجمعهم وتوحدهم، وهذا بعد فشلهم في تحقيق هذا الهدف في

المشرق؛ فضلا عن كون بلاد المغرب أرضا بعيدة عن مركز الخلافة؛ بل والأكثر من ذلك أن كثيرا من البربر تحمسوا للمذهب الخارجي واعتنقوه؛ لأنه يسوي بين العرب وغيرهم، فكان أن قام الإباضية بعدة محاولات من أجل تحقيق هذه الغاية، شأنهم في ذلك شأن الصفرية.

1.3- محاولات تأسيس دول إباضية في بلاد المغرب: كان من وراء قيام دولة إباضية ببلاد المغرب عدة محاولات؛ فبعد أن شعر الإباضية بكثرة عددهم وبقوتهم وبتأييد إباضي المشرق لهم، بدأت المحاولات الأولى لتأسيس دولة إباضية في المغرب: كانت أولى هذه المحاولات على يد الإمام عبد الله بن مسعود التجيبي (126هـ/744م)، الذي امتدت دولته من سرت إلى قابس، إلا أنها فشلت، وقضى عليها عبد الرحمان بن حبيب والي القيروان، وكانت المحاولة الثانية على يد عبد الجبار بن قيس المرادي (توفي بين 131-140هـ/748-757م)، الذي بايعه الإباضية إماما عليهم، واتخذ من الحارث بن تليد وزيرا (توفي بين 131-140هـ/748-757م)، حيث استولوا على طرابلس، وإن فشلت حركتهما هي الأخرى بسبب مقتلهما²⁴.

أما المحاولة الثالثة، فقادها إسماعيل بن زياد النفوسي، الذي اختاره البربر إماما عليهم، حيث عظم شأنه وكثر أتباعه، ونجح في الاستيلاء على قابس؛ لكن عبد الرحمان بن حبيب قضى عليها، وقام بقتل صاحبها وهزم أتباعه²⁵.

وأما المحاولة الرابعة، فهي التي مهدت الطريق إلى قيام الدولة الرستمية، فكانت على يد أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري سنة 140هـ/757م، الذي بايعه الإباضية إماما عليهم؛ ونجحت هذه المبادرة في بادئ الأمر، حيث استولى الإباضية تحت إمامته على طرابلس، ثم القيروان سنة 141هـ/758م، التي ولى عليها رجلا من أصل فارسي وهو عبد الرحمان بن رستم²⁶؛ فعقد الولاية له ثم عاد إلى طرابلس لمواجهة جيوش العباسيين، الذين أخذوا يرسلون الجيوش للقضاء عليه، التي هزمها مرتين: كانت الثانية في غدامس سنة 142هـ/762م؛ وحين بلغت أنباء الهزيمة المنصور سيّر جيشا إلى محمد بن الأشعث والي مصر، بلغ عدد قواته أربعين ألفا منهم ثلاثون ألفا من جند خراسان، وعشرة آلاف من جند الشام؛ وحين علم أبو الخطاب بذلك جند مائتي ألف رجل، وطلب المعونة من ابن رستم، وتم اللقاء بأرض سرت بموضع يقال له تاورغة؛ لكنه هزم وقتل مع عدد كبير من رجاله سنة 144هـ/761م²⁷.

2.3- قيام الدولة الرستمية: من بين أسباب هزيمة جيش أبي الخطاب: النزاع الذي دب في صفوفه بين زناتة وهوارة؛ وبالرغم من الهزيمة فإن زناتة خرجت للقاء الأشعث بجيش قوامه ستة عشر ألفا بقيادة أبي هريرة الزناتي، ولكنه هزم؛ وفي هذه الأثناء كان عبد الرحمان بن رستم في طريقه إلى أبي الخطاب لنجدته، وما إن وصل إلى قابس حتى بلغته أنباء الهزيمة؛ فعاد إلى القيروان فوجدها نائرة على عامله، كما أثرت عليه هزيمة أبي هريرة، فحمل أهله وماله وبعض أعوانه والتحق بإباضي المغرب الأوسط، ونزل على قبيلة لماية لحلف قديم بينهما²⁸، فاجتمعت إليه الإباضية، وعزموا على بنيان مدينة تجمعهم، فنزلوا بموضع تاهرت، وهي غيبة بين ثلاثة أنهار، فبنوا مسجدا من أربع بلاطات، واختط الناس مساكنهم، وذلك في سنة 161هـ/777م، وكانت في الزمان الخالي مدينة قديمة، فأحدثها عبد الرحمن بن رستم، وبقي بها إلى وفاته²⁹.

هكذا إذن تم تأسيس الإمارة الرستمية الإباضية، واستحداث مدينة تاهرت التي غدت عاصمة هذه الإمارة الناشئة، فكان عبد الرحمان بن رستم مؤسس أول إمارة مستقلة ببلاد المغرب الأوسط بعد جهد وصراع طويلين؛ فجاءت بذور المذهب الخارجي الإباضي من المشرق وزرعت بأرض المغرب بعد أن حرثت من طرف الدعاة الخوارج الإباضية فأنت ثمارها.

4- عوامل التنوع العرقي والمذهبي والديني بالدولة الرستمية: عرفت الدولة الرستمية تنوعا مذهبيا وعرقيا ودينيا؛ فمن الناحية المذهبية نجد الإباضية والصفيرية من الخوارج، والواصلية أو المعتزلة، والحنفية (من أهل العراق المعروفين بأهل الرأي والقياس) والمالكية (أهل السنة والأثر). لقد أطلق على العاصمة الرستمية تسمية "عراق المغرب" أو "العراق الصغير"، نتيجة التعددية المذهبية والفكرية، التي كانت تعرفها بلاد العراق³⁰.

ومن الناحية العرقية، إضافة إلى العنصر البربري الذي كان يشكل الغالبية من السكان، وجد أيضا العنصر العربي الذي كانت توجد منه أعداد كبيرة، ولكن لا يمكن مقارنته بالعنصر المحلي البربري؛ فتاهرت الرستمية كان يسكنها العديد من العرب: كوفيين وبصريين وقيروانيين³¹، ولكن هؤلاء البصريين والكوفيين وغيرهم من العرب القادمين من المشرق، سنجد من بينهم بلا شك الكثير من الموالي، الذين استعربوا في لغتهم وثقافتهم، وحتى أنسابهم.

هذا إضافة إلى العنصر الفارسي الذي شكل نسبة من سكان تاهرت، فكثيرا ما ردد ابن الصغير في كتابه "أخبار الأئمة الرستميين" مصطلح العجم، ويريد به العنصر الفارسي الذي قصد تاهرت، لما سمع أفرادها أنها محكومة من طرف أسرة ذات أصل فارسي، كما بلغ مسامعهم عدل ونزاهة الإمام عبد الرحمان؛ وقد ظهر هؤلاء كفئة فاعلة في فتنة مقتل ابن عرفة على يد أبي بكر؛ تحدث ابن الصغير عن ثروة جمعها أحد هؤلاء العجم يقال له ابن وردة، بأنه ابتنى سوقا يعرف به، "فكان صاحب شرطة "أفلح" إذا تخلل لافتقادها (السوق) لم يستطع أن يفتقد سوق ابن وردة"³²؛ إضافة إلى العنصر الأندلسي، والعنصر السوداني الذي كان يشكل طبقة الرقيق، كما نعتقد أيضا بتواجد العنصر الصقلي في هذه الدولة؛ بحكم رواج تجارة الرقيق الأبيض ومرورها ببلاد المغرب؛ وهكذا يتبين لنا بأن التركيبة العرقية للمجتمع الرستمي كانت عبارة عن خليط من الأجناس والأعراق المختلفة.

من الناحية الدينية وجد النصارى واليهود؛ أما بالنسبة للنصارى، فإن هناك إشارات إلى وجود كنيسة بتاهرت على العهد الرستمي، يبدو بأنه لم تكن تاهرت هي الوحيدة التي تضم جالية نصرانية؛ لقد كان هؤلاء يتوزعون في كافة أرجاء بلاد المغرب؛ ومن بين الأدلة التي تؤيد ذلك: أن بلاد المغرب خضعت سابقا لسلطة مسيحية قبل الفتح وهي بيزنطة، التي كانت تدين بالنصرانية، وتعمل على نشرها بين البربر؛ كما سعت روما قبلها نفس المسعى، فوجد على أثر ذلك نسيج اجتماعي مسيحي ضم إضافة إلى بقايا الرومان والبيزنطيين البربر النصارى، الذين هاجرت أعداد كبيرة منهم إلى الأندلس بعد فتحها³³؛ مما يدل دلالة واضحة على وجود للنصرانية ببلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي، وخلال قيام الدول المستقلة؛ ويبدو أنه قد حدث تحول تدريجي إلى الإسلام، ولكنه سريع مقارنة بنصارى العراق والشام ومصر، على الرغم من أن الإمارة الرستمية قد أتاحت هذا التنوع والتعدد وصانته وفق مبادئ وشروط الإسلام والمذهب الإباضي، القاضي بحماية أهل الذمة ورعاية حقوقهم الدينية؛ وهذا ما شجع ودفع عددا من غير المسلمين إلى اعتناق الإسلام.

يذهب المستشرق البولندي تادايوش ليفيتسكي «tadeusz lewicki» إلى أن اعتناق البربر للمذهب الإباضي كان بعد تحولهم من النصرانية إلى الإسلام؛ ومنهم سكان جبل نفوسة، أهم قواعد الدولة الرستمية؛ فهؤلاء النصارى البربر لم يتخلوا عن مسيحيتهم إلا بعد ظهور

المنشقين الخوارج، فعلى حسب هذا المستشرق بأن سبب بقائهم على دينهم هو من باب منافسة الفاتحين العرب والتميز عنهم، حيث أن الكثير من النفوسيين البربر الإباضية خلال العهد الرستمي كانوا يحملون أسماء بربرية تدل على الانتماء السابق للنصرانية، كماطوس وهو اسم وارد ذكره في اليوميات البربرية الذي يرجع الى الأصل اللاتينو مسيحي ماتوس هايوس «Matos Hayeus»، ويانيس «Johannes» وفالفوس «Balbus» وأدوناط وهو اسم قرية استمدت اسمها من فرقة الدوناتيين أتباع القديس دونا النوميدي «Donatus»؛ وبينما اعتنق قسم كبير منهم للإسلام ظل بعضهم على النصرانية³⁴.

وبالرغم من أن الكثير منهم قد أسلم فقد احتفظ قسم منهم بدينه السابق، وقد بلغ نصارى الدولة الرستمية مكانة مرموقة، حيث كانت لهم منزلة خاصة لدى بعض الأئمة: كأبي بكر بن أفلح³⁵.

إلا أن هذه النظرة هي استشراقية بامتياز، طالما حاول المستشرقون نصارى ويهود دائما ربط الفرق الإسلامية بالعقائد السابقة من نصرانية ويهودية، ولو بأتفه الحجج والأدلة، فضلا عن المعتقدات الوضعية كالمجوسية والبوذية وغيرهما...عن طريق التأثير اللاواعي بالنحل والنظريات الفلسفية، ويعد موضوع البحث في الفرق الإسلامية من أكثر المجالات البحثية رواجاً بين المستشرقين، ذلك بأنه يخدم بالدرجة الأولى معتقدتهم الديني ويُظهر الإسلام كدين مصطنع من أديان ومعتقدات أخرى سابقة له.

أما بالنسبة لليهود، فقد شكلوا هم كذلك إحدى الأقليات الصغيرة في الدولة الرستمية، وقد أقام اليهود في مدينة تاهرت المحدثّة التي تعد من أهم مدن المغرب الأوسط، التي ستزدهر وتمسي محطة تجارية هامة خاصة بعد قيام علاقات تجارية بينها وبين السودان والأندلس³⁶؛ من المتفق عليه هو أن اليهود معروفون بحبهم الكبير للتجارة، وهذا ما شجعهم بطبيعة الحال على الهجرة إلى تاهرت وغيرها من الحواضر الرستمية لمزاومتها؛ إضافة إلى حرف وأعمال أخرى اشتهروا بها في التاريخ، إلى جانب التجارة والسمسرة، خاصة وأن الدولة الرستمية كانت تعرف إضافة إلى ازدهار التجاري أمنا واستقرارا في غالب الأحيان، واليهود دائما يفضلون المناطق الآمنة والمستقرة، ويبحثون عنها من أجل مزاولة أعمالهم ونشاطاتهم دون مضايقة أو ما يعكر صفوهم، حيث وجدوا في دولة الرستميين مبتغاهم³⁷؛ لقد عرفت طائفة يهودية كانت تعيش

بالدولة الرستمية باسم "الرهادنة"، الذين كانوا يعيشون في أحياء خاصة بهم بعاصمة الدولة، ونالوا من التسامح وحرية العمل الشيء الكثير، مما جعلهم يسيطرون على مناشط التجارة³⁸، وقد أحصينا من وراء هذه الفسيفساء المذهبية والدينية والعرقية عاملين وهما:

1.4- طبيعة النظام السياسي والمذهب العقدي للدولة: إن الدارس لتاريخ الدولة الرستمية سيكتشف بأنها دولة كان أكثر سكانها من البربر، بالرغم من أن الأسرة الحاكمة كانت فارسية الأصل؛ فبنو رستم الفرس كانوا على دراية بالنزعة العرقية، التي كان يتحلى بها البربر؛ وبما أن الإسلام لا يفرق بين عربي وعجمي، وهذه سمة من أبرز سمات المذهب الإباضي، فإن الأسرة الرستمية عملت على استرضاء البربر وتقريبهم وملاطفتهم، حيث أنهم جاروهم في أهوائهم العرقية، ثم لطفوا من شدتها بعوامل إسلامية لينة، وأظهروا لهم الصلابة كلما اقتضت الأحوال، على أن لا يتجاوزوا الحدود؛ فكانت النتيجة أن أحس البربر العدل والمساواة من جهة، ودخلوا في الإسلام وحسن إسلامهم من جهة أخرى، حتى أمكن إدماجهم في العائلة الإسلامية الكبرى فيما بعد من غير هضم أو ابتلاع لحقوقهم³⁹، وكأن هذا بمثابة ردة فعل بتحالف الفرس والبربر ضد استئثار العرب بالسلطة في المشرق.

لكن من جهة أخرى سمح الأمراء الرستميون للعرب بالإقامة في دولتهم من باب العدل، ومن باب نشر التعريب، فنشأ مجتمع انصهر فيه العنصر العربي والعنصر البربري⁴⁰؛ إضافة إلى العنصر الفارسي، الذي تنتمي إليه الأسرة الحاكمة وغيره من الأجناس الأخرى.

يبدو بأن السلطة الرستمية كانت تريد بلا ريب عددا معتبرا من السكان حتى تظهر حواضرها ومدنها بمظهر الحواضر والمدن الكبرى في العالم الإسلامي: كبغداد والقيروان، وعلى رأسها مدينة تاهرت التي كانت تمثل العاصمة السياسية والاقتصادية؛ لذا فإن الرستميين شجعوا الهجرة إلى دولتهم من جميع الأقطار مشرقا ومغربا، واستقبلوا ورحبوا بكل قادم إليهم؛ يضاف إلى هذا أن إباضية المشرق كانوا يسعون دائما إلى إقامة دولة مستقلة عن الخلافة تجمعهم؛ ويبدو بأن نجاح هذا المشروع في بلاد المغرب قد شجعهم على الهجرة إلى دولة الرستميين، والإقامة فيها والاختلاط بسكانها، فغدت بذلك الأرض الموعودة لجميع الإباضية وصارت قبلة لهم.

وبما أن المذهب الإباضي يتقبل الآخر في معظم مبادئه كالنكاح والميراث والمعاملات، فإن هذا الأمر شجع عناصر أخرى غير الإباضية لشد الرحال إلى تاهرت والإقامة فيها، خاصة لما استقرت أوضاعها وراجت تجارتها، وانتشرت أخبار تعايش قاطننها وتسامحهم باختلاف طوائفهم وفئاتهم.

2.4- التجارة: كانت التجارة من أهم العوامل التي جذبت مختلف الأجناس والمذاهب إلى تاهرت، وقد عرفت الدولة الرستمية في بداياتها تجارة واسعة مع بلاد السودان وبلاد المشرق، ومع باقي بلاد المغرب؛ عن هذا يقول ابن الصغير: "... واستعملت السبل إلى بلد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة؛ فأقاموا على ذلك سنتين أو أقل من ذلك أو أكثر، والعمارة زائدة، والناس والتجار من كل الأقطار تاجرون"⁴¹؛ ويؤكد ذلك الشيخ بكري، فيذكر بأن الاتصال بين تاهرت وبلاد السودان كان مستمرا⁴²؛ وهكذا فإن التجارة كان لها دور كبير في إدخال عناصر جديدة في التركيبة الاجتماعية للدولة الرستمية، سواء تمثلت هذه العناصر في فئة العبيد السودانيين، أو التجار الأحرار مغاربة، أو أندلسيين، أو مشارقة، الذين دخلوا تاهرت عن طريق القوافل التجارية، حيث طاب المقام للكثير من أفرادها، أين مكثوا للعيش فيها وفي غيرها.

5- مظاهر من التعايش والتسامح المذهبي والديني والعنقي في الدولة الرستمية: تجلّى ذلك التسامح والتعايش في الدولة الرستمية بين مختلف المذاهب والأعراق والأديان، وبرز في مختلف مظاهر الحياة اليومية، ومن مظاهره المناظرات الدينية والعلمية بين مختلف المذاهب، وحرية المعتقد والفكر، واستقبال اللاجئين السياسيين وإيوائهم، وكذا المساواة بين كافة الإباضية من مختلف الأعراق في تولي منصب الإمامة.

1.5- المناظرات الدينية والعلمية: فتح الرستميون المجال واسعا أمام حرية الفكر، فلم يضايقوا أحدا ولا طردوا مخالفا؛ بل إن من أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم قريوه وناظروه ألطف مناظرة؛ وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله كذلك⁴³؛ ويبدو أن هذه المناظرات الهادئة تندرج فيما أمر به الله (تعالى) بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾⁴⁴.

كان كل أتباع مذهب يحاولون جذب الآخرين إلى مذهبهم؛ كما أن مثل هذه المناظرات تبرز بأن الحالة الفكرية والثقافية كانت مزدهرة في تاهرت على عهد الرستميين؛ علاوة على ذلك فإن مثل هذه المناظرات لا يخوضها إلا العلماء ذوو المستوى العالي، الذين كان من أبرزهم ابن الصغير المالكي (على الراجح) صاحب تاريخ الرستميين، أحد وجوه المالكية البارزين في تاهرت، فكان اختلافه مع الإباضية يجعله عرضة للدخول مع علمائها في المناظرات؛ وكان الإباضية يرون له منزلة في العلم بينهم⁴⁵.

تعتبر المناظرة التي جرت بين الإباضية والواصلية أهم مناظرة، التي يمكن اعتبارها استمرارية للتناظر والتحدي العلمي و الشرعي بينهما في المشرق، حيث جمعت بين مسلم بن أبي كريمة و رأس المعتزلة واصل بن عطاء؛ لقد كان الإباضية وغيرهم من المذاهب يتناظرون في مواضيع كلامية حساسة كقضية استواء الله (عز وجل) على العرش، ومسألة المكان، ومسألة خلق القرآن⁴⁶.

وكانت تقام في مساجد تاهرت حلق العلوم المختلفة، فيجد الطلبة فيها كل ما يريدون التخصص فيه من العلوم. التي اشتملت على علوم الشرع من: تفسير وحديث وفقه وأصول فقه، وعلوم العربية كلها من: أدب، ونحو، وصرف وغيرها؛ إضافة إلى العلوم العقلية من: منطق، علوم رياضية وحساب وهندسة وعلم الفلك⁴⁷.

2.5- الحرية الدينية والمذهبية والفكرية: إن ذلك الغنى والتنوع العرقي والمذهبي والديني الذي عرفته الدولة الرستمية تبعته حرية فكرية ودينية، نظرا لسياسة العدل والتسامح التي أقراها الإمام عبد الرحمان، وسار عليها خلفاؤه؛ فلم يُقمع المخالفون للمذهب الإباضي، فكانت لهم بيوتهم ومساجدهم التي يعرفون بها، قال ابن الصغير: "... وأتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار والأقطار، فقال: ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم، وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد، وحسن سيرة إمامهم وعدله في رعيته، وأمانة على نفسه وماله: حتى لا ترى دارا إلا قيل: هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري، وهذه لفلان القيرواني، وهذا مسجد القيروانيين ورحبتهم، وهذا مسجد البصريين، وهذا مسجد الكوفيين"⁴⁸؛ كما انتشرت في الدولة الرستمية مساجد الخواص: كالمسجد الذي بناه أبو مرداس مهاصر السدراتي⁴⁹ في كهف يتعبد فيه، وقد بلغ في العلوم النهاية⁵⁰.

يحدثنا ابن الصغير عن تسامح الإباضية بقوله: "ولا يمنعون أحدا من الصلاة في مساجدهم، ولا يكشفون عن حاله ما خلا المسجد الجامع، فإنهم إذا رأوا فيه من رفع يديه منعه وزجروه، فإذا أعاد ضربوه"⁵¹؛ ومن الأمور المدهشة أنه سمح لأبناء المذاهب الأخرى بنشر مذاهبهم والدعوة إليها دون مضايقات أو حرج، كابن الصغير الذي كان يناظر أئمة الإباضية والمعتزلة في المسائل الفقهية⁵²؛ علاوة على ذلك، فإنه سمح أيضا لغير المسلمين بالخوض في العلوم والتبحر فيها، حتى نبغ عدد منهم كاليهودي يهوذا بن قريش⁵³.

ومن مظاهر العدالة الاجتماعية في الدولة الرستمية هو الاعتناء بتثقيف وتعليم العبيد والإماء ونبوغهم في العلم، حيث ذكر الشماخي أن إماء نفوسة في تلك الأعصار إذا وردن أو خرجن إلى الحطب في البساتين لا يرجعن حتى يتذاكرن مسائل "كتاب ماطوس"، (في الشريعة الإسلامية)، الذي عد من الكتب الدراسية المهمة المقررة عندهم⁵⁴.

3.5- إيواء اللاجئين السياسيين من مذاهب مخالفة: لقد آوت الدولة الرستمية الأمراء الفارين واستقبلتهم كلاجئين أو مقيمين فيها: كمؤسس الدولة الأموية بالأندلس، عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك حين فرّ من العباسيين، ولجأ إلى المغرب الأوسط، وأقام بين بني رستم الذين حافظوا عليه، وأجاروه من الأخطار التي كانت تواجهه؛ الأمر الذي يؤكد مؤلف كتاب "نفح الطيب" حين يقول: "وآل أمره في سفره (أي عبد الرحمان بن معاوية) إلى أن استجار ببني رستم ملوك تهرت من المغرب الأوسط..."⁵⁵، إن تعبير المقرئ الذي نقله عن ابن عبد الحكم يؤكد أنّ القبائل ذات القاعدة العريضة التي قامت عليها الدولة الرستمية هي التي استقبلت الأمير الأموي⁵⁶.

ويتجلى التسامح هنا في إيواء أحد أفراد الأسرة الأموية العدو التقليدي للخوارج في المشرق والمغرب، ولو أن الإمارة الرستمية سعت من خلال ذلك إلى كسب حلفاء في المنطقة؛ لأنها كانت محاطة بأعداء بارزين وهم الأغالبة حلفاء بني العباس في إفريقية، والأدارسة العلويون في المغرب الأقصى، مما سينعكس على العلاقات بالإيجاب بين الإماراتين في المستقبل. من الذين لجأوا إلى دولة الرستميين: عبد الله بن عبد الرحمان بن معاوية المعروف بالبلنسي الذي حل بتاهرت في عهد الإمام عبد الوهاب، والتي لم يكن قدومه إليها عفويا؛ بل كان من أجل تحقيق هدف معين، فقد أزر عبد الله أخاه سليمان في ثورته ضد أخيهما هشام

بن عبد الرحمان بن معاوية بعد فوزه بالإمارة، وعندما طلب سليمان الأمان اشترط عليه الأمير هشام الخروج من الأندلس، فتوجه صحبة أخيه إلى المغرب؛ وبينما أقام سليمان في طنجة، انتهى المطاف بعبد الله بتاهرت زمن الإمام عبد الوهاب الذي اتصل به من أجل الحصول على مساعدة ودعم ضد الأمير الأموي، لكن الإمام لم يستجب لطلبه معتبرا الأمر مسألة عائلية خاصة⁵⁷. ومع ذلك اكتفى الإمام عبد الوهاب برفض طلبه رغم العلاقات الطيبة التي جمعتها بالأمويين الأندلسيين.

ومن مشاهير الأندلسيين الذين حلوا بتاهرت: الثائر عمر بن حفصون الذي فر إليها، واختفى بها، وأخذ يخطط ويستعد للتحرك والثورة ضد الأمويين، إذ اشتغل مساعدا لأحد الخياطين الأندلسيين خلال إقامته بها، حيث حدثت معه قصة طريفة شجعتة على مواصلة ما كان يسعى إليه، خلاصتها أن شيخا جاء ليخيط ثوبا عند الخياط؛ وكان ابن حفصون حاضرا فعرف الشيخ اسمه من دون أن يخبره، وتنبأ له بأنه صاحب بني أمية، وسيلقون منه غيا، وسيملك ملكا عظيما، فما كان منه إلا أن كتم الأمر وخرج متخفيا عائدا إلى الأندلس⁵⁸.

تجدر الإشارة هنا إلى أن الرستميين منحوا حق اللجوء السياسي لبعض رعايا الدول التي تختلف معهم سياسيا ومذهبيا، بينما اختلف الأمر مع الثائرين والخارجين على الأمويين في الأندلس، بحيث لم يكفلوا لهم هذا الحق؛ كما منعوهم من القيام بأي نشاط ضد الأمويين على أراضيهم⁵⁹.

4.5- المساواة بين الإباضية من كافة الأعراق في تولي منصب الإمامة: استقبل الرستميون كبار رجال الأندلس الذين وفدوا إلى تاهرت واستوطنوها، وأصبح البعض منهم يساعد بعض الأئمة في شؤون الإدارة والحكم، من أبرز هؤلاء: شخصيتان كانتا في تاهرت عند وفاة عبد الرحمان بن رستم وهما: مسعود الأندلسي، ومروان الأندلسي؛ كان الإمام قبل وفاته قد جعل الإمامة شورى بين سبعة من رجال الدولة الرستمية ممن عرفوا بالصالح والعلم والتقوى والورع، ومنهم: مسعود الأندلسي وعمران بن مروان الأندلسي؛ يقول المؤلف الإباضي الدرجيني: "إنهم أي السبعة أجمعوا رأيهم على اختيار أحد اثنين: مسعود الأندلسي أو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، ثم مال أكثر المرشحين للإمامة ومعهما العامة إلى تولية مسعود الأندلسي، لكنه هرب واختفى، فابتدروا عبد الوهاب ليبياعوه فلما سمع مسعود بتركهم إياه

خرج مبادرا ليكون أول من يبايعه⁶⁰؛ فنلاحظ هنا بأن الإمام عبد الرحمان بن رستم قد أشرك شخصيات من أصول مختلفة بربرية وفارسية وأندلسية وربما عربية كانت تعتنق المذهب الإباضي لانتخاب الإمام، ولكن مبدأ انتخاب الإمام سيختفي، إذ أن الإمامة ستتحصر في البيت الرستمي إلى غاية سقوط الدولة.

6- أعلام غير إباضيين من الدولة الرستمية: نتج عن ذلك التعايش والتسامح مجموعة من الانعكاسات والآثار، تجلّى أبرزها في ظهور ثلة من العلماء والأدباء والشعراء من غير الإباضيين في تخصصات شتى، نذكر منهم:

1.6- بكر بن حماد (200-296هـ/815-908م): وهو بكر بن حماد بن سهل (وقيل صالح، وقيل سهر، وقيل سمك) بن أبي إسماعيل الزناتي التاهرتي، أبو عبد الرحمان من شعراء الطبقة الأولى في عصره، عالم بالحديث ورجاله، فقيه، ولد بتاهرت، ورحل إلى البصرة في العراق سنة 217هـ/832م وهو حدث السن، فأخذ عن مسدد الأُسدي وغيره، والتقى بدعبل الخزاعي، والعباس بن الفرّج الرياشي، وعلي بن الجهم وغيرهم.. اتصل بالخليفة المعتصم بالله ومدحه، وعاد إلى إفريقية قبل سنة 239هـ/853م. فأخذ عن عون بن يوسف الخزاعي وسحنون بن سعد بالقيروان. ثم تصدر لإملاء الأدب والعلم بجامعها الكبير، فارتحل إليه الكثير من أهل إفريقية والأندلس للأخذ عنه. وفي سنة 295هـ/908م عاد إلى تاهرت وتوفي بعد سنة من عودته في قلعة ابن حمة شمال تاهرت، وهي نفس السنة التي سقطت فيها الدولة بيد العبيديين. وله ديوان شعر كبير⁶¹.

ومن الذين أخذوا عنه ابنه عبد الرحمن، وقاسم بن أصبغ الذي ألف مسند مسدد بن مسرهد (ت. 228هـ/843م) عن بكر، وأبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني المعافري الأندلسي، وقاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التاهرتي⁶².

2.6- عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي التاهرتي القرن الثالث الهجري (9م): من فقهاء تاهرت في أيام الدولة الرستمية وعلمائها غير الإباضية. وهو والد المحدث قاسم التاهرتي المتوفي بالأندلس⁶³.

3.6- قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي التاهرتي: محدث من أهل تاهرت، كان من جلساء بكر بن حماد وممن أخذ عنه؛ رحل إلى الأندلس سنة (317هـ-927م)، وأقام بقرطبة إلى أن توفي بها⁶⁴.

4.6- الفقيهان أبو مسعود وأبو دنون الكوفيان: كانا من الفقهاء والعلماء غير الإباضية، الذين عاشوا في ظل هذه الدولة، ويبدو من خلال نسبتها أنهما قدما من الكوفة، أو أن أحد آبائهم قدم منها، واستقر في دولة الرستميين كغيره من الكوفيين والبصريين والقيروانيين وغيرهم.

يذهب أحد الباحثين إلى أن المقصود بمذهب الكوفيين هو المذهب الشيعي؛ نظرا لأن الكوفة خلال هذه الحقبة كانت من أهم معاقلهم، أو أنهما كانا على مذهب أبي حنيفة، وقد بلغ هذان الفقهاء مبلغا في القوة والنفوذ لدى العامة؛ حتى أنهما طمعا مع جماعة من أمثالهما في القضاء على الإباضية؛ حيث كان لهما دور بارز في الأحداث التي وقعت بين أبي حاتم وعمه يعقوب بن أفلح أواخر القرن الثالث الهجري (9م)⁶⁵.

5.6- ابن الصغير التاهرتي (توفي بعد سنة 300هـ/912م): من فقهاء ومؤرخي الدولة الرستمية غير الإباضيين، وهو صاحب كتاب "أخبار الأئمة الرستميين"، الذي ألفه حوالي سنة 290هـ/902م على الأرجح⁶⁶؛ يشتهر بتسمية مؤرخ الدولة الرستمية: ذهب فريق من المؤلفين والمؤرخين إلى القول بمالكيتهم منهم: سليمان باشا الباروني⁶⁷، بينما نسبته فريق آخر إلى المذهب الشيعي بحجة إيراد قول الرسول (ﷺ): "من كنت مولاه فعلي مولاه"⁶⁸، وعلى رأسهم المستشرق تاديوس ليفيتسكي، إذ يقول: "وكان هو نفسه شيعيا نوعا ما وتظهر ميوله العلوية في أكثر من مقطع من مجموعة أخباره"⁶⁹، ومحققا كتابه (إبراهيم بحاز ومحمد ناصر)، باعتباره الاحتمال الأقرب إلى الصواب، غير أن تشييعه كان معتدلا في نظرهما⁷⁰؛ لكن أحد الباحثين حاول الرد على هذا الطرح؛ من بين الحجج التي أوردها في هذا الصدد هي أن هذا الحديث يعتقد بصحته أيضا أهل السنة، والإشكال يكمن في تفسيره وتأويله، فكل فرقة تفسره تفسيرا يتناقض مع رؤى وتفسيرات الفرق الأخرى⁷¹، وهذا ما أشارت إليه من قبل المؤرخة والباحثة وداد القاضي، باعتبار هذا الحديث من الأحاديث الثابتة الصحيحة لدى أهل السنة طبقا لتصحيحه من أهل الاختصاص من المحدثين، حيث أيدت فكرة سنية ابن

الصغير، وتستدل في ذلك على أن أحد الإباضية خاطبه مرة بقوله: "من أين زعمت وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين والعراقيين"، ويقصد بذلك المالكية والحنفية، كما أكد على هذا الرأي الشيخ سليمان الباروني غير مرة قائلا بمالكية ابن الصغير، غير أنها تصرح بأنها لم تعثر على ترجمة له في كتب طبقات المالكية⁷².

تذكر الباحثة وداد القاضي بأنه من غير الممكن تحديد سنة ولادته بدقة، وكل ما نعرفه عن نفسه في هذا المجال أنه أدرك بعض أيام أبي اليقظان بن أفلح وإمارته وحضر مجلسه في المسجد الجامع بتاهرت، وأنه كان صغيرا ينادى بـ"يا بني" خلال تلك الفترة، فهذا يعني أن ولادته يجب أن تكون قد تمت بين 265 و270هـ، نظرا لأن أبا اليقظان توفي سنة 281هـ⁷³، أما المؤرخ ناصر الدين سعيدوني فيرجح تاريخ ميلاده ما بين سنتي 260 و270هـ/873-883م بتاهرت، أو قدم إليها وهو صغير أواخر أيام الإمام أبي اليقظان بن أفلح، استنادا إلى عبارة وردت في كتابه: "وقد لحقت أنا بعض أيامه وإمارته وحضرت مجلسه"، وهو ما يرجحه أيضا كل من سعيدوني ومحققا كتابه⁷⁴؛ كان يحضر المناظرات والجدال بالمسجد الجامع بتاهرت، ويتردد على علماء الإباضية للأخذ عنهم ومناقشتهم، فقد أخذ عن أبي عبيدة الأعرج علوم اللغة والكلام ومسائل الفقه، وقرأ عليه خاصة كتاب "إصلاح الغلط" لابن قتيبة، واطلع على مسائل الجدل للإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان واهتم بدراسته⁷⁵. وبهذا ساهمت هذه الحرية الفكرية والدينية في تمتين المذهب المالكي وتدعيم وجوده بالمغرب الأوسط، ونفس الشيء انطبق أيضا على المذهب الإباضي.

كذلك فإن ذلك النبوغ العلمي والمعرفي لم يقتصر على المسلمين فقط، وإنما شمل غير المسلمين من أهل الذمة، وهذا ما يدفعنا إلى الاستنتاج بأن دولة الرستميين بلغت تقريبا تلك المكانة التي بلغتها دولة بني العباس على نحو ما في المشرق، والتي عرفت نشاطا فكريا حيويا لأهل الذمة، غير أن المصادر للأسف لم تقدم لنا أسماء هؤلاء الأعلام سوى رجل واحد، وهو يهوذا بن قريش.

6.6- يهوذا بن قريش التاهرتي: هو عالم دين يهودي ولغوي من أهل تاهرت من القرن الرابع الهجري (10م)، كان متضلعا في اللغات العربية والبربرية والعبرية والآرامية والفارسية، التي حاول المقارنة بين بعضها، وله في ذلك كتاب، توجد مخطوطته في مكتبة أوكسفورد، وهو

بذلك واضح أساس النحو التنظيري⁷⁶؛ ويبدو بأنها الرسالة التي ألفها وهي في ثلاثة مواضيع: الأول دراسة مقارنة بين الآرامية والعبرية، الثاني حول العلاقة بين لغة التوراة والمشنا والتلمود، والثالث مقارنة العبرية بالعربية، أما الخاتمة فكانت حول العلاقة بين اللغات الثلاث؛ وكان يهوذا بن قريش على مذهب القرائين الذي ظهر في القرن الثاني الهجري (8م) على يد عنان بن داود، ودخل بلاد المغرب خلال القرن الثالث الهجري (9م)، وكان يدعو إلى نبذ التلمود والاكتفاء بالتوراة⁷⁷.

الخاتمة: إن ذلك الجو من التعايش والتسامح للذات خيما على الدولة الرستمية ما كانا ليكون لولا مبادئ المذهب الإباضي الخارجي من جهة، القائمة على تقبل الآخر ومسايلته واعتدال آرائه في الفروع والأصول؛ على عكس المذاهب الخارجية الأخرى كالصفورية المعروفة بغلوها والتي أقامت دولة في أقصى الجنوب الغربي للمغرب الإسلامي (جنوب المغرب الأقصى) وهي إمارة بني مدرار؛ فضلا عن الأزارقة المعروفين بشدة تطرفهم وتزمتهم، الذين لم يستطيعوا إقامة كيان سياسي لهم سواء بالمشرق أو المغرب، حيث لم تتح لهم الفرصة بالتوافد عليه، ولولا سياسة الأئمة الرستميين القائمة على العدل والمساواة من جهة أخرى؛ فقد أدت سياسة التسامح وأجواء التعايش إلى ازدهار الحياة الفكرية والاقتصادية، خاصة الميدان التجاري؛ فأصبحت الحركة من وإلى تاهرت وغيرها من مدن الدولة تكاد لا تنقطع؛ مما أثرت التركيبة الاجتماعية لمجتمعات الدولة الرستمية، خاصة حاضرة تاهرت؛ فأضحت عبارة عن فسيفساء مذهبية وعرقية ودينية، حيث وجد البربري والفارسي والعربي بجميع مكوناته، والأندلسي والسوداني والصلبي، ومن هؤلاء المالكي والإباضي والمعتزلي؛ إضافة إلى اليهود والنصارى، و ليس بإمكاننا في هذا المقال المحدود الصفحات أن نتناول أو نشير إلى كل ما له علاقة بالتسامح والتعايش بين هذه العناصر المذكورة في دولة الرستميين، حيث أن الأمثلة والنماذج كثيرة متنوعة.

غير أن ذلك لا يعني بأن التعايش والتسامح في دولة الرستميين كان مستمرا بصفة دائمة، وإنما كانت تتخلله فترات من التعصب الذي وصل إلى حد الصدام؛ لكن إذا ما قارنا بين الدولة الرستمية ودول إسلامية مجاورة لها سنجد بأنها قد نجحت فيما فعلا سياسة التعايش والتسامح بنسبة كبيرة، فمثلا نجد دائما الإمارة الرستمية ميالة إلى السلام والمهادنة مع هذه

الدول، فتستقبل رعاياها بكافة الأشكال، على الرغم من الاختلاف المذهبي كالأغلبية، فالدولة الرستمية كانت دائما تفتح أبوابها لكل من يلجأ إليها، ومنهم رعايا الدولة الأغلبية، الذين استغل بعضهم فرصة لجوئهم إليها والقيام بمحاولة زعزعة استقرارها وإثارة الفتنة والقتال، كذلك نجد بأن الدولة الرستمية فتحت حدودها للكثير من العلويين الفارين من بطش العباسيين، وما نختم به مقالنا هو أن التسامح والتعايش كانا من أبرز ما امتازت به المجتمعات الإسلامية خلال تلك الفترة.

الهوامش:

- 1- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ط4، مجمع اللغة العربية- مكتبة الشروق الدولية، مصر، 1425هـ/ 2004م، ص639.
- 2- علي عطية الكعبي، التعايش السلمي بين الأديان السماوية في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى نهاية دول الطوائف 484/92هـ-711-1091م، ط1، دار مكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- دبي، 2014م، ص32-33.
- 3- نفسه، ص33-34.....4- إبراهيم أنيس وآخرون، المرجع السابق، ص447.
- 5- سمير الخليل وآخرون، التسامح بين شرق وغرب دراسات في التعايش والقبول بالآخر، ترجمة: إبراهيم العريس، ط1، دار الساق، بيروت، 1992م، ص5-7.....6- جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ج1، ص271.....7- نفسه، ج1، ص272.
- 8- هو عبد الله بن إياض المري التميمي قال عنه الشماخي في السير: "إمام أهل التحقيق والعمدة عند شغب أولي التفرق...كان كثيرا ما يبدي النصائح لعبد الملك بن مروان، وفي حفلي أنه يصدر في أمره عن رأي جابر بن زيد، وله مناضرات مع الخوارج وغيرهم". الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت. 928هـ / 1522م)، كتاب السير، تحقيق: أحمد بن سعود الشيباني، ط2، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1412هـ-1992م، ص72-73؛ وقد عاش في زمن معاوية بن أبي سفيان إلى زمن عبد الملك بن مروان: صابر طعيمة، الإياضية عقيدة ومذهبا، دار الجيل، بيروت، 1406هـ/1986م، ص43؛ وقد نسب المذهب إلى والد المؤسس كما هي العادة عند المسلمين في غالب الأحيان؛ بنسبة المذهب أو الحركة أو الدولة إلى والد أو أحد أجداد المؤسس؛ على سبيل المثال لا للحصر الدولة الأموية نسبة إلى أمية بن عبد شمس والمؤسس معاوية بن أبي سفيان. الأثرقة أسسها نافع بن الأثرق وتنسب لهذا الأخير وهكذا...
- 9- يرفض شيوخ الإياضية وأقطابهم وعلمائهم على نسبة الإياضية إلى الخوارج، ونذكر على سبيل المثال أن عبد الله بن إياض قد تبرأ من ابن الأثرق مؤسس فرقة الخوارج الأثرقة. حيث قال عنه في رسالته إلى عبد الملك بن مروان: "إنا نبرأ إلى الله من ابن الأثرق وأتباعه؛ لقد كانوا على الإسلام فيما ظهر حين خرجوا، ولكنهم ارتدوا عنه وكفروا بعد إسلامهم فنبرأ إلى الله منهم"، ونجدهم أيضا يتخذون موقفا سلبيا من عثمان بعد ست سنوات من خلافته وعلي بعد قبوله بالتحكيم (رضي الله عنهما)؛ بكير بن سعيد أعوش، دراسات إسلامية في الأصول الإياضية، ط3، دار التضامن للطباعة، القاهرة، 1408هـ/1988م، ص19/موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، دار هومة، الجزائر، 2005م، ص175؛ ولكننا نجد بأن ابن إياض هنا الذي ينسب إليه المذهب قد كفر بالأثرقة - وهم من مخالفيه وهم الأقرب إليه مذهبيا.
- 10- راجع بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، ط3، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر، دت، ص64.
- 11- محمد بن موسى بابا عبي وآخرون، معجم أعلام الإياضية، ج2، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص05/ صابر طعيمة، المرجع السابق، ص43.
- 12- الأشاعرة أو الأشعرية هم أصحاب أبي الحسن بن إسماعيل الأشعري، تجمع المصادر بأن ميلاده كان بالبصرة سنة 260هـ/874م، ثم سكن بعد ذلك بغداد إلى أن توفي بها سنة 336هـ/948م، وكان معتزليا في بدايته، حيث أخذ عن معتزلة البصرة وعلى رأسهم أبو علي الجبائي، وله مناضرات معه اشتهرت عنهم، قيل بلغت مؤلفاته الثلاثمائة، من جملة آرائه المذهبية أن الله لا يشبه شيء، ولا يشبه شيئا، مرتكب الكبيرة فاسق بفسقه وكبيرته، مؤمن بإيمانه، وقال في أفعال الإنسان على عكس المعتزلة بأنها مخلوقة لله وليس للإنسان فيها غير اكتسابها: كمال اليازجي، معالم الفكر العربي، ط6، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ص155-164.

- 13- ظهرت فرقة المعتزلة في المشرق الإسلامي في منتصف القرن الثاني الهجري (القرن 8م) مرتبطة باسم واصل بن عطاء، الذي اعتزل مجلس شيخه الحسن البصري، لاختلافه معه حول مرتكب الكبيرة، لذلك قال: "اعتزلنا واصل"؛ ومن هنا جاءت تسميتهم بالمعتزلة، وكان موقفهم مثل موقف الإباضية معارضا للحكم الأموي، وقد كان لهم نشاط في بلاد المغرب انتبه باستقطاب بعض المغاربة: سلوى عبد الخالق على أحمد يوسف، المعتزلة في الدولة الرستمية، حوليات آداب عين شمس، المجلد 36/ العدد 36، أكتوبر-ديسمبر 2008م، ص ص 135، 139، 140/ البيهقي كمال، المرجع السابق، ص 154.----- 14- صابر طعيمة، المرجع السابق، ص 43.
- 15- هو أبو الشعثاء جابر بن زيد، الأزدي اليمامي، أصله من الجوف ناحية بعمان وكان يئزل البصرة في الأزدي في موضع يقال له درب الجوف، وكانت الإباضية تنتحله، وكان هو يتبرأ من ذلك، مات سنة 93هـ (712م)، ودفن هو والإمام مالك بن أنس في جمعة واحدة، وكان أعورا: أبو حاتم محمد بن حبان التميمي (ت. 354هـ/965م)، كتاب الثقات، ط1، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بجديد أباد، الهند، 1973م، ص ص 101-102/ الشماخي، المصدر السابق، ص 67/ أبو العباس أحمد بن سعيد التمجاري الدرجمي (ت. 670هـ/1270م)، طبقات المشائخ بالمغرب، حققه وقام بطبعه إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، دت، ج 2، ص 205.
- 16- هو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي بالولاء، مولى لعروة بن أديّة، أصله من فارس، عرفت الإباضية على يديه أكبر إنجازاتها السياسية في المشرق والمغرب، سجنه الحجاج ولم يخرج من سجنه إلا بوفاته، تولى إمامة الإباضية بعد وفاة الإمام جابر بن زيد، أنشأ مدرسة في سرداب قرب البصرة بعيدا عن عيون بني أمية، وادعى صنع القفاف وتعليم صنعها لتمويه السلطة، وفي ذلك السرداب تخرج على يديه مشاهير أئمة الإباضية وشيوخهم مشاركة ومغاربة، كانت وفاته سنة 145هـ/762م، ناظر المعتزلة وأفهم زعيمهم واصل بن عطاء: محمد بن موسى بابا عبي وأخرون، المرجع السابق، ص ص 418-419.
- 17- راجع بونار، المرجع السابق، ص 64-65؛ يقول المذهب الإباضي بأن المخالف تجري عليه أحكام المعاملات الظاهرة في الدنيا، وهي التي تجري على الموحدين المسلمين: كحرمة المال والدم والعرض إلا بحق شرعي، فضلا عن النكاح والميراث والدفن وغيرها...بينما في الآخرة فإن له حكما مغايرا إن مات على كبيرة أو أصغر على صغيرة من غير توبة عنها، ففي هذه الحالة هو كافر كالكفار الأصليين مغل في النار: ينظر: الجيطلالي، قناطر الخيرات: قنطرة العلم والإيمان، تحقيق عمرو خليفة النامي، المطبعة العربية، غرداية، دت، ج 1، ص 365؛ قادة سبع، الصراع المذهبي العقدي بالمغرب الإسلامي أسسه، مجالاته وانعكاساته، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2019م، ص ص 230-231؛ فقد جاء في كتاب الفرق بين الفرق في هذا الصدد بأن الإباضية: "افترقت فيما بينها فرقا يجمعها القول: بأن كفار هذه الأمة- يعنون بذلك مخالفيهم من هذه الأمة- براء من الشرك والإيمان، وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين، ولكنهم كفار..."أبو منصور بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، مصر، دت، ص 95.
- 18- عبد الكريم يوسف جودت، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 24/ موسى لقبال، المرجع السابق، ص ص 179، 180، 181، 206.
- 19- سلمة بن سعد بن علي بن أسد الحضرمي صنّفه الدرجمي في طبقة تابعي التابعين، أخذ العلم عن إمام المذهب جابر بن زيد، وعن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وهو أول من جاء من البصرة بمذهب الإباضية، ليدعو إليه في بلاد المغرب الإسلامي، وقد نجحت جهوده في الدعوة للإباضية. محمد بن موسى بابا عبي وأخرون، المرجع السابق، ص ص 189-190.
- 20- هو أبو عبد الله القرشي، مولاهم المدني، البربري الأصل، قال أبو سعيد بن يونس: عكرمة من سكان المدينة، وقد كان سكن مكة، قدم مصر، وصار إلى إفريقية؛ وقد اختلف فيه: فهناك من قال أنه كان صغريا، وهناك من قال بأنه كان إباضيا: ينظر: شمس الدين مُحَمّد بن أحمد الذهبي (ت. 748هـ/1348م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1402هـ-1982م، ج 5، ص ص 12، 13، 20، 21، 22؛ يبدو بأن نظرة هؤلاء إلى عكرمة وأمثاله وموقفه السلي من السلطة، هي التي جعلت كل فرقة تنسبها إليها، حتى تكون لها شعبية وقاعدة، نظرا لشهرته واحتكاكه بالصحابة وخصوصا جبر الأمة عبد الله بن عباس (رضي الله عنه).
- 21- أطلق على أفرادها اسم "حملة العلم إلى إفريقية" وهم: عبد الرحمان بن رستم، وعاصم بن جميل السدراتي، وإسماعيل بن درار الغدامسي، وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، وأبو داود النفزاوي: موسى لقبال، المرجع السابق، ص 191.
- 22- علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ الإباضية في الجزائر، ط1، مطبعة الدعوة الإسلامية، القاهرة، 1399هـ-1979م، ص 15.
- 23- تاهرت (أو تهرت) مدينة مسورة لها أربعة أبواب، باب الصفاء وباب المنازل وباب الأندلس وباب المطاحن، ولها قصبة مشرفة على السوق وتسمى المعصومة، وهي على نهر يأتها من جهة القبلة ونهر آخر يجري من عيون تجتمع تسمى ناقس ومنها شرب بسايتها وفي شيء، وفيها

جميع الثمار وهي شديدة البرد كثيرة الغيوم والثلج، وتاهرت الجديدة هي على خمسة أميال من تاهرت القديمة وهي في شرق الحديثة، الدرجيني، المصدر السابق، ص ص 42-43.

24- أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني (ت.420هـ/1029م)، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1990، ص ص 91-92؛ يذكر ابن عبد الحكم بأنهما اقتتلا فقتل بعضهما بعضا بعد الخلاف الذي قام بينهما؛ أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم (ت.257هـ/870م)، فتوح إفريقيا والأندلس، حققه وقدم له: عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964، ص 108؛ أما المصادر الإباضية فتشير إلى دسيسة قد يكون دبرها عبد الرحمان تمكن من خلالها من قتل الأميرين غيلة. عبد الكريم يوسف جودت، المرجع السابق، ص 26.

25- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، صص 107-108.

26- عبد الرحمان بن رستم بن هرام بن كسرى حكم ما بين (160-171هـ/777-788م)، هو مؤسس الدولة الرستمية وأول أئمتها، كان مولده بالعراق، ويرجع في نسبه إلى الأكاسرة ملوك فارس، ومن العراق سافر به أبوه وأمه إلى الحجاز، لأداء فريضة الحج، إلا أن الأب وافاه الأجل، فتزوجت أمه رجلا مغربيا صحبها وابنها إلى القيروان، التي نشأ فيها وأخذ بها مبادئ العلوم، وتعرف على الدعوة الإباضية التي تعلق بها، كان أحد أفراد البعثة (حملة العلم) التي شكلها سلمة بن سعد، عين واليا وقاضيا على القيروان في دولة أبي الخطاب بعد افتتاحها من الصفرية، وبعد بلوغه انهزام جيش أبي الخطاب ومقتله سنة 144هـ/761م وهو في طريقه إليه، رجع إلى قابس ومنها إلى القيروان التي خرج منها نحو المغرب الأوسط، حيث اعتصم بجبل سوفجج بمنطقة تاهرت، وهناك ابنتي مع أنصاره مدينة تهرت أو تاهرت، وبويع بالإمامة، توفي سنة 171هـ/788م؛ محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، المرجع السابق، صص 246-248----27- عبد الكريم جودت، المرجع السابق، صص 27-28. 28--- نفسه، صص 27-28.

29- أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م)، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد ومحمود بشار عواد، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1434هـ/2013م، مج1، ص 207.

30- إبراهيم بكير بحاز، الدولة الرستمية 160-296هـ/777-909م: دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط2، المطبعة العربية، غرداية، 1993، ص ص 323-333 ---- 31- ابن الصغير المالكي (توفي بعد سنة 300هـ/912م)، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 32؛ وقد أشار إلى القيروانيين باسم القرويين. 32--- نفسه، ص 55.

33- Harakat Ibrahim, la communauté chrétienne celles d'origines musulmane vues par les sources arabes l'occident musulman et l'occident chrétien, publication de la faculté des lettres, rabat, 1995, p202.

34- تادايوش ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم: (دراسة لسنية في الأنوميا والطوبونوميا الأمازيغية)، ترجمة: عبد الله زارو، منشورات مؤسسة تالوت الثقافية، دم، 2006، صص 44.52.53.55.56.

35- فاطمة مطهري، مدينة تاهرت الرستمية: دراسة تاريخية حضارية (ق2-3هـ/8-9م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط (غير منشورة)، تلمسان: كلية العلوم الاجتماعية- جامعة أبي بكر بلقايد، 1430-1431هـ/2009-2010م، ص 129. 36- عبد الرحمان بشير، اليهود في المغرب العربي 22-462هـ/642-1072م، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2001م، ص 46.

37- تعرف منطقة ميزاب بالحضور الإباضي الكبير، وعرفت تعايشا بين الإباضية واليهود، ولم يسجل التاريخ أية تجاوزات أو اعتداءات في حقهم، فكل طرف كان يعيش في حبه محترما غيره وسط تقسيم اجتماعي متكامل للعمل، وقد شجع المزابيون أثناء العهد العثماني إقامة العنصر اليهودي في مدينتهم، كما استفاد بعضهم حرفيين يهود من الجنوب التونسي، ووفروا لهم أحسن الشروط لممارسة مهنتهم وحقوقهم وحررياتهم، واستمر هذا الجو والتعايش الطبيعي طيلة قرون حتى استقلال الجزائر سنة 1962 عندما قرر اليهود الرحيل إلى الكيان الصهيوني وبالضبط إلى صحراء النقب بسيئات: فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمانة، الجزائر، دت، ص 119.

38- صالح محمد فياض أبو دياك، المظاهر السياسية والحضارية للدولة الرستمية في المغرب 144-296هـ/761-909م، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق- سوريا، العدد 55-56، السنة 17، آذار حيزران، 1996، ص 92. 39- علي يحيى معمر، المرجع السابق، ص 27.

40- فاطمة مطهري، المرجع السابق، ص 232. 41- ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص 32.

42- عبد الكريم يوسف جودت، المرجع السابق، ص 234، نقلا عن:

Bekri Cheikh, Le Kharedjisme Berbérie, Extraits des annales de l'institut d'études orientales, TXV, 1957, Alger, p104.

43- بحاز إبراهيم بكير، المرجع السابق، ص 333. 44- الآية 125 من سورة النحل. 45- إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص 334.

- 46- نفسه، صص 335، 338-47- محمد علي دبو، تاريخ المغرب الكبير، ج3، مؤسسة تاوالت الثقافية، دم، 2010، ص 331.
- 48- ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص31-32. 49- عاش خلال (القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي) من كبار مشايخ تيرست بجبل نفوسة بليبيا، ويبدو بأنه من قبيلة سدراتة (صدراته) النفوسية التي ينسب إليها، عاصر الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم(171-208هـ/787-823م)، ولزمه طيلة بقائه في جبل نفوسة، وضمن مشاهد جبل نفوسة ثلاثة مساجد تنسب إليه: محمد بن موسى بابا عبي وأخرون، المرجع السابق، ص ص 426-427. 50- الشماخي، المصدر السابق، ص151. 51- فاطمة مطهري، المرجع السابق، ص227.
- 52- نفسه، ص 236. 53- محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987، ص238.
- 54- محمد علي دبو، المرجع السابق، صص337-338. 55- أحمد بن محمد التلمساني المقرئ (1041هـ/1632م)، نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ/1968م، ج3، ص29. 56- عبد القادر بوباية، علاقة الرستميين بالإمارة الأموية في الأندلس، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق- سوريا، العدد 99-100، السنة 25، رمضان 1426هـ/تشرين الأول 2005م، ص382. 57- نفسه، صص383-384. 58- عبد القادر بوباية، المرجع السابق، صص387-388. 59- نفسه، ص387. 60- الدرجيني، المصدر السابق ص46. 61- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت-لبنان، 1980، صص58-59.
- 62- إبراهيم بكير بحاز، الدولة الرستمية 160-296هـ/777-909م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط5، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015م، ص435. 63- عادل نويهض، المرجع السابق، ص59. 64- نفسه، ص 60/ إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص436.
- 65- إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص453؛ وأرجح بأن المقصود هنا بمذهب الكوفيين هو مذهب أبي حنيفة، حيث يذكر القاضي عياض بأن: المذهب السائد في إفريقية وما وراءها من بلاد المغرب كان مذهب الكوفيين، يقول: "وأما إفريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين، إلى أن دخل علي بن زياد وابن أشرس واليهلول بن راشد، وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك فأخذ به كثير من الناس ولم يزل يفتشو إلى أن جاء سحنون فغلب في أيامه". القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي البحصي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبطه وصححه: محمد سالم هاشم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1998م، ج1، ص15. 66- تاديوس ليفيتسكي، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة ماهر جزار وريما جزار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ص149. 67- سليمان باشا الباروني، الأذهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، مراجعة محمد علي الصليبي، ط1، دار الحكمة، لندن، 2005م، ص85. 68- المالكي، ابن الصغير، المصدر السابق، ص12/ ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، ص13. 69- تاديوس ليفيتسكي، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ص148.
- 70- ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص13. 71- قادة سيع، المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015م، ص96.
- 72- وداد القاضي، ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية، مجلة الأصالة، العدد 45، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد45، السنة الخامسة ماي1975، ص ص38-39. 73- نفسه، ص38. 74- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص13/ ابن الصغير المالكي، المصدر السابق، ص ص11-13. 75- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص13. 76- عادل نويهض، المرجع السابق، ص61.
- 77- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، صص144-145، 152-153.